

دراسة تحليلية في شعر الخليع

م.م. عقيل العذاري
جامعة الكوفة / كلية الآداب

ملخص البحث:

يمتلك شاعرنا من المؤهلات الفنية ما يجعل شعره مطمئناً للدارسين ومنهلاً للنقاد والمنتبعين، فقد وصف بأنه شاعر مطبوع مجوّذ كثير الاغراض، فإذا اُضيف إلى ذلك جزالة الفرزدق ودعابة أبي نواس وغناء الاعشى كان أولى بالدرس واملى للعين واصح للنقد واشفى للنفوس. وقد عمدنا إلى مختار شعره نستجلي معانيه ونستكشف مراميه، واعاننا على ذلك نقاء لفظه وعذوبته ولطف معناه ودقته وانسجام تركيبه وانسيابيته ومثانة أسلوبه وروعه وسلامة وزنه وسحر موسيقاه. وإذا كان لكل فضاء عتبة، فالمنهج النقدي – كما يقال – هو عتبة الدخول إلى النصوص ومن هذا المنطلق كان لزام علينا الاستفادة من بعض المناهج النقدية كالبنوي والنفسي ولكن من دون اِقحامها بشكل مباشر أو متكلف، بل يأتي ذلك بشكل طبيعي في اثناء التحليل والمقارنة بين النصوص. وقد حاولنا تجنب الآراء الجاهزة أو الغريبة عن سياق الناس ومناقشة آراء الباحثين وتفنيد بعضها وبيان قصور البعض الآخر.

شاعرية الخليع :

الحسين بن الضحاك الفنان الشاعر أو الشاعر الفنان، الخليع المتمتد، المتهتك المحتشم الارستقراطي الملكي، الغر المتصابي، الغزل المتهالك، زير النساء وعشيقهن، طريد الغلمان وطالبهم، ربيب القصور، عاش مع الملوك وعاشهم فاتخذوه سميراً وندبياً، يدفع السامة والملل، يزرع الابتسامة والامل يطلب الجمال حل أو ارتحل تناءى أو حضر في زي انثى كان أو ذكر. موجود فطن اذنتبت الفطنة وينتهي التجويد مطبوع السجية وال خاطر، وصاف ماهر ومصور حاذق ورسام انيق، ملكي الألفاظ في خطابه الملوك عمرها في حوار العشيق والعشيق... ينتقي ويختار يرقص الالفاظ ويمسك التعبير، يضرب بوتر الالفاظ ويعزف النغم المستعار فيدب الى النفوس يسلبها جلباب الوفاء وينزع عنها لباس الحياة لترقص في سكون وترتدي ثوب المجنون تكتم انفس الورع وتقصر خطوات الجزع، تحرق في العيون... تمايل كالوسنان.. تعاقر الظمأ... تعانق الحرمان وتشرب الهذيان...

هكذا وصفه نقاده، هكذا يكون أو لا بد ان يكون... بل هكذا اصفه لأنني أزع ان أكون منهم وشريكهم بل نصيفهم ولا أرضى لنفسي إلا ان تحاورهم حوار الند الى الند وان تقف منهم بمنزلة الصنو من الصنو أو الذراع من العضد... شاعر قدر له ان يعيش مع اخلائه ومحبيه وبين حساده ومبغضيه، خليع كتب عليه أن يعاصر أبا نواس ويصاحبه، ومن الظلم بمكان أن نفرق بينهما أو نختص بالحديث عن احدهما دون الآخر، فالحسين هو الحسن والحسن هو الحسين، فالأرض بقطيعها تدور وكالدهماء بالقميرين ترى النور، كالربيبين ينهلان من ثدي الود أو كالخالين يجولان في صحن الخد... لقد شهد عصرين ماجنين من اقوى عصور المجون بل اشترك مع اقرانه المتهتكين كوالبة وحماد ومطيع وبشار... اشتركوا جميعاً في صنع المجنون وصناعاته.

وكان للحسين وصنوه القدر المعلى معكم في احترافه وتطويره بخلاعتها وتهتكها واستهتارها وظرفها وعيبتها وإباحتهما وتهالكهما على الفحش والمعاقرة واشعارهما العارية التي يندى لها الجبين الفطرة وتهتك ستور اليقين بالشك والحيرة وقد يعوج بها المستقيم ويطرب لها ذو الحجر الحليم...

إنه شاعر الغناء والجمال والترنم تجده عنده ما لا تجده عند غيره من صدق الشعور وجيشانه وحرارة العاطفة وقوة الانفعال مع نقاء اللفظ وانسيابية التعبير ومثانة الأسلوب ورسائلته...

الحسين بن الضحاك بن ياسر. يكنى بابي علي ويلقب بالأشقر لحسن صورته وبالخليع لكثرة مجونه وخلاعه. يكاد القدماء يتفقون على أنه فارسي الأصل من موالى سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي سوى محمد بن داود بن الجراح فقد جعله باهلياً صليبية^(١). ولد في البصرة سنة (١٦٢ هـ) ونشأ وتأدب فيها^(٢). وقد اتصل بخلفاء بني العباس وندمهم ولم يزل مع الخلفاء الى ايام المستعين أو المنتصر. وكان اول من اتصل به من الخلفاء وندمه محمد الامين وكان ذلك سنة (١٨٨ هـ) ثم جالس المعتصم والواثق والمتوكل وكان قد حظي عندهم بمنزلة كبيرة قلما نالها غيره، قال ابن خلكان ((واتصل في مجالسة الخلفاء الى مالم يتصل إليه إلا اسحاق بن ابراهيم الموصلى فإنه قاربه في ذلك وسواه...))^(٣). ومن اخباره مع الخلفاء ما يرويه ياقوت في معجمه عن تمامة بن اشرس قوله ((لما قدم المأمون من خراسان وصار الى بغداد أمر بأن يسمى له قوم من أهل الادب ليجالسوه ويسامروه فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك... فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين فقال : اليس هو الذي يقول في محمد :

هــلا بـقيت لسـدد فـاقتنـا
أبـداً وـكان لـغـيـرك التـلـف
قـد كـان فـيـك لـمـن مـضى خـلف
ولـسـوف يـعـوز بـعـدك الخـلف

لا حاجة لي فيه والله لا يراني ابداً إلا في الطريق...))^(٤). ويروي ابو الفرج عن حماد بن اسحاق عن ابيه قوله ((كنت بين يدي المأمون واقفاً فادخل إليه ابن البواب رقعة فيها أبيات وقال: إن رأى امير المؤمنين أن يأذن لي في انشادها فظنها له فقال: هات فأشدد:

أجرني فإني قد ظمئت الى الوعد متى تتجز الوعد المؤكد بالعهد

الى أن بلغ الى قوله:

رأى الله عبد الله خير عباده فملكه والله اعلم بالعباد

إلا انما المأمون للناس عصمة مميّزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون احسنت يا عبد الله فقال يا امير المؤمنين أحسن قائلها قال ومن هو؟ فقال عبدك حسين بن الضحاك فغضب ثم قال: لا حيا (كذا) الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا انعم به عيناً ليس القائل:

أعيني جوادا وابكيا لي محمداً ولا تذخراً دمعاً عليه وأسعدا

فلا تمت الاشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك فيه مبدا

ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

هذا بذاك ولا شيء له عندنا...))^(٥). ويحدثنا الحسين عن قصة له مع المعتصم فقد غضب عليه لشيء جرى على النبيذ فأقسم المعتصم أن يأدبه فحجبه عن الدخول عليه فكتب إليه:

غضب الامام اشد من أدبه وقد استجرت وعذب من غضبه

اصبحت معتصماً بمعتصم أثنى الاله عليه في كتبه

لا والذي لم يبق لي سبباً أرجو النجاة به سوى سببه

مالي شفيع غير حرمته ولكل من اشفى على عطبه

فلما قرئ عليه التفت الى الواثق قائلاً: بمثل هذا الكلام يستعطف الكرام ما هو إلا أن سمعت ابيات حسين هذه حتى ازلت ما في نفسي عليه^(٦). أما بينه وبين المتوكل فيروي ابو الفرج عن محمد بن ابي عون قوله ((حضرت المتوكل وعنده محمد بن عبد الله بن طاهر وقد احضر حسين بن الضحاك للمنادمة فأمر خادماً كان واقفاً على راسه فسقاه وحياه بتفاحة عنبر وقال للحسين قل في هذا شيئاً فقال:

وكالدره البيضاء حياً بعنبر وكالورد يسعى في قراطق كالورد

له عيئات عند كل تحية بعينيه تستدعي الحليم الى الوجد

تمنيت أن اسقى بكفيه شربة تذكرني ما قد نسيت من العهد

سقى الله عيشاً لم ابت فيه ليلة من الدهر إلا من حبيب على وعد

فقال المتوكل: يحمل الى حسين لكل بيت مائة دينار فالتفت إليه محمد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجب وقال لم ذلك يا امير المؤمنين فوالله لقد اجاب فأسرع وذكر فأوجع وأطرب فأمتع ولو لا أن يد امير المؤمنين لا تطاولها يد لأجزلت له العطاء ولو احاط بالطارق والتالد فحجل المتوكل وقال يعطى حسين بكل بيت الف دينار))^(٧). وكان المتوكل يستظرف منادته ويفضل شعره على من سواه فيقول ((هو عندي اشعر اهل زماننا وأملحهم مذهباً وأظرفهم نمطاً))^(٨). ويخبرنا الحسين عن مودة الخلفاء له وأهتمامهم به في شيء من الخيلاء فيقول ((ضر بني الرشيد في خلافته لصحبتى ولده ثم ضربني الامين لمما يلة ابنه عبد الله ثم ضربني المأمون لميلي الى محمد (يعني الهادي) ثم ضربني المعتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي الى المتوكل وكل ذلك يجري مجرى الولوج بي والتحذير لي...))^(٩). وكانت له مع ابي نواس صحبة طريفة ونوادير لطيفة^(١٠). ومن طريف أخباره معه إغارات ابي نواس على ما يستجده من شعره في صفة الخمرة أو الغزل في الغلمان والسقاة ومن ذلك قول الحسين ((أنشدت أبا نواس قصيدتي:

وشاطري اللسان مختلف التـكـ _____ ريه شباب المـجـون بالنسـكـ
حتى بلغت الى قولي:

كأنما نصب كأسه قمر _____ يـكـرع في بعض انجم الفلك
فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه:

إذا عبّ فيها شارب القوم خلتـه _____ يقبل في داج من الليل كوكبا
فقلت له يا أبا علي هذه مصالنته فقال لي أتظن أنه يروى لك في الخمر معنى جيد وأنا حي))^(١١) .
وعن علي بن يحيى عن الحسين قوله ((لقيني أبو نواس ذات يوم .. فأنشدته:

أخويّ حي على الصبوح صباحا _____ هبّـا ولا تعدا الصباح رواحا
هذا الشميط كأنه متحير _____ في الأفق سد طريقه فألحا
ماتأمران بسكرة فرويه _____ قرنت الى درك النجاح نجاحاً

فلما كان بعد أيام لقيني ... فأنشدني.

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا _____ وأمله ديك الصباح صياحا

فقلت له: حسن يا بن الزانية أفعلتها فقال دع هذا عنك فو الله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً وأناحي إلا نسب لي))^(١٢) . وقد أجمع القدماء على انه في الطبقة الأولى من الشعراء المحدثين ووصفوه بأنه مطبوع مجود نقي الشعر كثير الاغراض. قال فيه أبو نواس ((أنت اشعر أهل زمانك في الغزل))^(١٣) . وعن محمد بن عباد قوله ((قال لي المأمون وقد قدمت من البصرة. كيف ظريف شعرائكم وواحد مصرمك؟ قلت ما اعرفه قال ذاك الحسين بن الضحاك اشعر شعرائكم واطرف ظرفائكم اليس هو الذي يقول:

رأى الله عبـد الله خيـر عبـاده _____ فملكه والله اعلم بالعبـد

.... ما قال فيّ احد من شعراء زماننا بيتاً ابلى من بيته هذا))^(١٤) . نعم هو ظريف المصر بل ظريف العصر كله ولكن المأمون احجم عن ذلك لشيء في نفسه منه كما انه ذكر الحقيقة ناقصة أو ذكر نصف الحقيقة - كما يقال - فلم يدل على شاعريته إلا من خلال هذا البيت الذي مدحه فيه وهذا غاية الاجفاف بحق شاعر اجمعوا على تفضيله واستجادة شعره كما اننا لا نرى في بيته هذا ما تكلفه المأمون أو رآه من ظرافته وفضل استجادته فأى شعر هذا حتى تستجيد ذائفة المأمون والتكلف عليه بادٍ والتمويه فيه غاية المراد؟! فضلاً عن تجنيسه المموج ونثرية الالفاظ في قوله (والله اعلم بالعبد).
وانا اجمع لك بين قوليه في الامين والمأمون لتقارن فترى ايهما اسلم وأجمل أو بين الاخوين لتقدر ايهما لقلب شاعرنا أدخل ثم أترك لك امرهما لتتظر بعيون الجداء وتحكم حكم اليمامة الزرقاء:
قال في الامين^(١٥):

هـلا بقيت لسـد فاقتـا _____ أبداً وكان لغيرك التـلـفـ
قد كان فيك لمن مضـخـف _____ ولسوف يعوز بعدك الخـلـفـ
وقال في المأمون^(١٦):

حمدنا الله شـكراً إذ حبانـا _____ بنصرك يا أمير المؤمنيـا
فأنبت خليفة الرحمن حقـا _____ جمعت سماحة وجمعت دينـا

فهو لا يريد للمأمون الردى ويكتفي به بل يريد التلف والفناء فكثيراً ما يذكر الميت وقد تخلد بعض صفاته وافعاله، إنه موت الذكر وتلف المآثر. وأنظر تكلفه ونثرية الفاظه في قوله (حمدنا الله شكراً وخليفة الرحمن حقاً) ونداءه المضطرب وتكراره المستهجن! وأي سماحة فيه وقد اورد اخاه الردى واقتضح الحريم وما اهتدى!!
وتأمل قوله في الامين^(١٧).

فلا تمت الاشياء بعد محمد
ولا زال شمل الملك فيه مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده
ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

لتستبين طراوة المعنى وقوة الانفعال وصدق المشاعر وشدة السبك و عذوبة الالفاظ (تمت الاشياء ، شمل الملك ، مبدداً ، طريداً مشرداً ، وما رأيت اجمل من قوله (طريداً مشرداً)) نعم انه شرود الذهن مضطرب مشتت الفكر مبدد لجمع والاوصال هكذا كان أو هكذا يريد له الشاعر أن يكون.
وكان أبو الفضل الرياشي يستحسن قوله:

اذا ما المفاء امكنتني
وصفو سلافة العنوب
صبيت الفضة البيضاء
ء فوق قراضة الذهب

ويقول إنه ((ارق الناس طبعاً واكثرهم ملحاً واكملهم ظرفاً))^(١٨). وكان أبو العباس ثعلب يستجيد قوله:

لا وحييـك لا اصـما
فـوح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه اسـترا
ح وان كـمان موجعا
كبيدي من هـواك اسـما
قم من أن تقـطعا
لم تدع سورة الضنى
ففي للسقم موضعا

ويقول ((ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا))^(١٩). وقال فيه ابن المعتز ((وله اشعار كثيرة وهو احد المفتين في الشعر جيد المدح جيد الغزل جيد الهجو كثير المجون صاحب جد وهزل وهو عندهم في بحار أبي نواس بل هو أنقى شعراً وأقل تخليطاً منه))^(٢٠) وهذا - فيما أرى - من اروع ما قيل فيه فقد ذكر أنه شاعر منوع الاغراض مجيد فيها وهذه صفة يقدم الشاعر من اجلها ويوضع في مصاف كبار الشعراء المجيدين ومن أجل ذلك عدّه العلماء في رتبة أبي نواس أو طبقته ثم ذكر له ابن المعتز صفتين تميز بهما عن أبي نواس وهما نقاء لفظه وخلو اكثر شعره من الاسفاف أو الضعف أو التكلف فضلاً عن فطنته وذكائه وصفاء طبعه وسرعة بديهته وهي صفات قلما اجتمعت في غيره من شعراء العصر.
واستجاد له أبو بكر محمد بن سليمان الاصفهاني صاحب كتاب (الزهرة) ابياته في الغزل^(٢١):

وابـابي مـفحـم لعزـته
قلبت له إذ خـلوت مـكتـما
تـحب بـالله مـن يـخصـك بـالحـب
فـما قـال لا ولا نـعـما
ثم تـولى بمـقلتي خـجـل
أراد رد الجـواب فاحتـشـما
فـكنت كـالمـبتغي بـحياتـه
برءاً مـن السـقم فابتـدا سـقـما

وقد وقف الشاعر من خلال المطابقة بين حرفي الجواب (لا ونعم) في بيان صفة الدهاء والمكر لمعشوقه ولم يقل (لا أو نعم) بل قال (لا نعم) لبيان الحال التي عليها الغلام بين الانجذاب والنفور أو الرفض والقبول إمعاناً منه في الدهاء وما يثيره في قلب الشاعر من الحيرة والشقاء فهو لا آيس ولا مؤمل وهو يبتغي برءاً فابتدا سقماً! قال الشريشي في شرح المقامات ((واحسن الخليع الباهلي في التردد))^(٢٢).

وافرد له ابو الفرج في كتابه (الاغاني) ستينين صحيفة^(٢٣). وروى طرفاً من اخباره مع الخفاء والامراء وذكر له من محاسن شعره في الغزل والخمر والمديح والثناء وقال في صفته وعلو كعبه في ميدان الشعر إنه ((شاعر اديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر حلو المذهب لشعره قبول ورونق صاف وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها ... وله معان في صفتها أبدع فيها وسبق إليها))^(٢٤). ومما ذكره له مرثيته في الامين وهي قوله^(٢٥):

أعزي يا محمد عنك نفسي
معاذ الله والأبيدي الجسمام
فهلا مات قوم لم يموتوا
ودوفع عنك لي يوم الحمام

أو استشفى بقربك من سقام

كأن الموت صادف منك غنما

ومدحته في المعتصم:

متعسفين تعسف المـراق

قل للالى صرفوا الوجوه عن الهدى

درب بحطم موائيل الأعناق

أنى أحذركم بـوادى ضيغم

زجل الرعود ولا مع الإبراق

متأهب لا يستفز جنانه

بالشام غير جماجم افلاق

لم يبق من متعزمين توثبوا

علق الاخداع أو أسير وثاق

من بين منجدل تمج عروقه

تختال بين احزة ورقاق

وثنى الخيول إلى معاقل قيصر

وهي ((مما قدمه أهل العلم على سائر ما قاله الشعراء)) (٢٦).
وقوله في الغزل (٢٧):

وعن تتابع انفاسي وعن فكري

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهري

عيني إليك على صحوى ولا سكري

لم يخل قلبي من ذكراك اذ نظرت

صفو المدامة بين الانس والخفر

سقى ليوم سروري اذ تنازعني

جهرأ وتشرب كأسى غير مستتر

وفضل كأسك يأتيني فأشربه

نحوي وترفعه كفى إلى بصري

وكيف اشمله لثمي والزمه

كانت ومدة أيامى على قدر

فليت مدة يومى اذ مضى سلفا

صرنا جميعا كذا جارين في الحفر

حتى اذا ما أنطوت عنا بشاشته

وقوله في الخمر (٢٨):

عودي بيوم سرور كالذي كانا

يا حانة الشط قد أكرمت مثوانا

طيب البطالة اسراراً وإعلانا

لا تفقد ديننا دعابات الإمام ولا

إذا يطربنا الطنبور أحياناً

ولا تخالعنا في غير فاحشة

شجوا فأهدى لنا روحاً وريحاناً

وهاج زمرزنام بين ذلك لنا

سقى فالحق أولاننا بأخراننا

وسلسل الرطل عمرو ثم عم به السـ

دون الدساكر من لذات دنياننا

سقى لشكالك من شكل خصصت به

في كل مخترق نهراً وبستاننا

حفت رياضك جنات مجاورة

بأكرم الناس اعراقاً واغصاناً

لا زلت أهلة الأوطان عامرة

واستحسن له الشريف المرتضى قوله:

وموافي تعرض طيف الخيا
ل ولهجر حظك ممن تحب
غناء قليلا ولكنني
تمليت به بقوع المحب

وقال: (وهو من مليح ما نظم في قناعة المحب بالطيف وهو قليل نادر)^(٢٩). وعده ياقوت الحموي من الشعراء المطبوعين المجيدين والمكثرين في الغزل بقوله ((وله غزل كثير اجاد فيه وهو احد الشعراء المطبوعين الذين اغناهم عفو قرائهم عن التكليف))^(٣٠).

واستجاد له قوله في المنتصر^(٣١):

ألا ليت شعري أبدر بدا
نهارا ام الملك المنتصر
إمام تضمن أثوابه
على سرجه قمرا من بشر
حمى الله دولته سلطانه
بجنود القضاء و جنود القدر
فلا زال ما بقيت مدة
يروح بها الدهر أو يبتكر

وفي هذه الابيات جاء التكرار مصيبا لأنه لما كان القضاء غير القدر كان لكل منهما جنوده على انها لا تخلو من اضطراب وتكلف نوجزه بما يأتي:

١. تكلف اللفظ في قوله (تضمن أثوابه) و (دولة سلطانه)
 ٢. الاستفهام في قوله (أبدر بدا) مبتذل متكلف تسبب في رداءة التجنيس بين (بدر وبدا) الذي كان يمكن أن يؤتى به في سياق أجمل.
 ٣. قوله (من بشر) فضل اعوزته إليه القافية ثم (قمرا من بشر) غاية في القبح والاستهجان.
 ٤. قوله (إلا ليت شعري) تعبير مستهلك لا يصلح فيها وضع له.
- ومما استحسنه له في المديح قوله في الوائق^(٣٢):

يضيق الفضاء به إن غدا
بطودي أعاريبه والعجم
تري النصر يقدم راياته
إذا ما خفقن أمام العلم
وفسي الله دوح أعسداءه
وجرد فيهم سيوف النقم
وفسي الله يكظم من غيظه
وفي الله يصفح عم من ظلم
رأى شميم الجود محمود
وما شميم الجود إلا قسم
فراح على نعم واغتدى
كأن ليس يحسن إلا نعم

وقد أحسن في طباقته غاية الاحسان وبلغ فيها حدود البلاغة والبيان وروض من عسير الطلب ما لا يروض إلا بالفطنة والمران فلو تأملت قوله (يضيق الفضاء، أعاريبه والعجم، يكظم من غيظه، فراح واغتدى) لرأيت عجب الصنع ولهيب الطبع بالدليل والبرهان.

وعده ابن خلكان في الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين ووصفه بانته ((شاعر ماجن مطبوع حسن التفنن في ضروب الشعر وانواعه ..))^(٣٣) وذكر له من محاسن شعره قوله^(٣٤):

أيام من طرفه سحر
ويام من ريقه خمير
تجاسرت فكاشف
تلك لما غلب الصبر
ومما أحسن فسي مث
لك أن ينهت لك السوتر

ففي وجهك لبي عذر

فإن عفتني الناس

وقوله^(٣٥).

وكالورد يسعى في قراطق كالورد

وكالدرة البيضاء حيا بعنبر

بعينه تستدعي الحليم إلى الوجد

له عبثات عند كل تحية

تذكرني ما قد نسيت من العهد

تمنيت أن اسقى بكفيه شربة

من الدهر إلا من حبيب على وعد

سقى الله عيشا لم ابته فيه ليلة

ج

وهذه الابيات من اعاجيب غزله فهي - كما ترى - لوحة فنية تزخر بألوان الورد الزاهية الخلافة وتفوح بأريج العنبر الفتان، وليس شيء أعذب من هذه الالفاظ ولا ابرع ولا الطف من هذه التشبيهات والاستعارات (كالدرة البيضاء ، في قراطق كالورد ، حياً بعنبر ، عبثات بعينه) لقد جعل العيون تستخف الحليم وتعبث به من طريق الاستعارة و اراد (نظرات عينيه) لأنها تعبت بالفؤاد وترمي بالحليم في بحر من الهم والحزن والشوق ، وتأمل قوله (يسعى) وما فيه من دلالات الخفة وسرعة الحركة والديبب وهي صفات محببة لم تزل في زمانهم تطلب في الغلمان والسفاة ، وتأمل قوله (لم أبته فيه ليلة) فقد اثبت عن طريق النفي الاستثناء طواعية الدهر له وموافقته لهواه ولهوه زيادة في البلاغة وإمعاناً في المجون وقوة في الدلالة . ولا ادري كيف صفا له من لم يصف لغيره قط لا في الماضين ولا في الحاضرين؟ ولاي شيء كان يهب له في كل ليلة من حسناواته الطفهن ومن ساعاته ارقهن؟! .
وذكر له النواجي من التشبيه البديع قوله.

كذلك التفاح خمير جمـد

الـراح تفاح غدا ذائبـا

ولعل أروع ما كتب عن الشاعر في العصر الحديث وفي غاية الدقة والموضوعية والعمق في التحليل ما ذكره الدكتور طه حسين في حديث طويل من أحاديث الأربعاء وقد وسمه بسمات تدل على شاعرية فذة وموهبة لا تجارى وتألّق في عالم الشعر الرحيب (كالطبع ونقاء اللفظ وجودة المعنى وحرارة العاطفة وقصر الاوزان وتناسق الموسيقى) إذ يقول ((شاعر ظريف شديد الظرف ربما انقطع نظيره في شعراء العصر العباسي كله وهو مع ظرفه واسرافه في المجون قليل الفحش في اللفظ غير متهاك على القول الاثم والالفاظ المنكرة مجود إذا فكر مظفر إذا بحث موفق إلى اللفظ المتين والاسلوب الرصين في غيره جفوة ولا غلظة لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى وإنما ينطلق لسانه على سجيته ، وسجيته سهلة مرسلّة غنية غريزة المادة لا تكاد تنضب ولا ينالها إعياء أو كلال كان يعاشر الأمراء والخلفاء وكان ينشئ لهم الشعر ليتغنى لهم فيه المغنون قود أكثر من ذلك حتى أثر في شعره واصبح شعره كله موسيقى لا لجودة لفظه ومعناه فحسب بل لهما ولهذا التنسيق الموسيقي الذي لا تكاد تجده عند غيره ومن هنا أثر أو كاد يؤثر دائما القصار من بحور شعره ومن هنا اجتهد أن يضيف إلى هذه الاوزان الشعرية العروضية وزاناً أخرى موسيقية))^(٣٧). نعم هي الخفة اذن وهي العذوبة حتماً بل هي الموسيقى ((وهي طبيعة لشاعر كان يعيش في قصور الخلفاء ومجالسهم ويسمع في كل ليلة اوتار العيوان والطنابير والمعازف من كل لون مما جعل اذنه الموسيقية ترهف ارهاف شديداً فاذا كثير من شعره يتحول الحاناً وانغاماً خالصة))^(٣٨). وما كان لنديم الملوك أن يرضى لشعره التخليط أو لالفاظه التشميط كما كان يرضى صنوه وقرينه ومن الحيف بمكان أن يقول القائل: أن الحسين كان يحاكي استاذه أبا نواس في الخمر والمجون!^(٣٩). ولا عذر له فيما يقوله ويدعيه. بل كان الحسين هو المحاكي وهو الكثير من معاني الخمرة اسبق وليس هذا فحسب بل كان شعره أنقى لفظاً واجود معنى واطيب مسلماً ...

المبحث الأول:

(المدح)

قال في مدح المعتصم^(٤٠).

خصت ببهجتها أباسحاق

خير الوفود مبشر بخلافة

من كل مشكلة وكل شقاق

واقته في الشهر الحرام سليمة

قبل الاكف باوكـد الميثاق

اعطته صفتها الضمائر طاعة

عف الضمير مهذب الاخلاق

سكن الانام إلى أمام سلامة

فحماً رعيته ودافع دونها	واجار مملقها من الاملاق
قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى	متعسفين تعسف المراق
إنني أحذركم بـوارد ضيغم	درب بحطم موائيل الأعناق
متأهب لا يستتزف جنانه	زجل الرعود ولامع الإبراق
لم يبيق منجدل تمج عروقه	علق الاخضاع أو أسير وثاق
وثنى الخيول إلى معاقل قصير	تختال بين احزرة ورقاق
يحملن كل مشمر متغشم	ليث هزبر اهـرت الاشـداق
حتى إذا ام الحصون منازلا	والموت بين ترائب وتراقي
هدت بطارقتها هدير ثعالب	بدهت بزأر قساور طراق
ثم استكانت للحصار ملوكهم	ذلا ونباط حلقهم بخناق
هربت واسلمت الصليب عشية	لم يبيق غير حشاشة الارماق

نلاحظ في النص ما يأتي:

١. المبالغة في إضفاء الصفات الجليلة التي تليق بخليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبفائد مظفر افنى عمره في طلب الاعداء الحاقدين على الأمة الاسلامية. وتتمثل تلك المبالغة باستعمال صيغ المبالغة والتفضيل (خير ، عف ، مهذب).
 ٢. إن الخلافة هي التي تطلبه لا انه هو يطلبها وهي محتاجة إليه وهو غني عنها ، فالأمة بحاجة إلى خليفة مقتدر قوي لا يدهن ولا يساوم في تنفيذ أوامر الله ورعاية مصالح الامة ولا تأخذ في الحق لومة لائم مخالف لهواه مطيع أمر مولاه مسلم لحكمه راض بقضائه وقدره.
 ٣. الافادة من المعاني القرآنية والسنة النبوية كما في قوله (مهذب الاخلاق) في اشارة إلى قوله تعالى [انك لعلى خلق عظيم] (٤١). وقوله (فحماً رعيته) في اشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (٤٢).
 ٤. المزوجة بين الموروث الشعري (صفات الشجاعة والعفة والعدل) والمفاهيم الجديدة التي اوجدتها الخلافة العباسية المتمثلة في إضفاء الشرعية على حكمه وخلافته كما في قوله (خصت ببهجتها ، وافته ، أعطته ، سكن ، سليمة ، أوكد الميثاق) وإحاطته بهالة من الصفات القدسية كما في قوله (خير الرفود ، إمام سلامة ، عن الهدى).
- إذن لم لا يكون المعتصم القائد الذاب المحامي عن حمى المسلمين؟ ولم لا يعيش الناس تحت ظل خلافته في أمن وأمان وسلامة ودعة واطمئنان وهو ينشر الأمن ويحكم بالعدل وينصف المظلومين؟ لم لا يكون ذلك والخليفة نقي الاخلاق عفيف طاهر القلب امين على هذه الامة حافظ لحقوق الرعية عظيم الشأن مبارك له حرمة على الله كحرمة الشهر الحرام؟
- قال (خير الوفود): من الوفاة في محاولة لاضفاء طابع الشرعية على حكمه وخلافته فهو مبعوث من قبل السماء وهو خليفة رسول الله في امته. (خصت ببهجتها) كناية عن الرضا والقبول أي انه الخليفة الشرعي المنتخب من لدن الله عز وجل والمجمع عليه من قبل الأمة. ثم كنى عن اجماع الأمة عليه بقوله (وافته سليمة) فلم لا تضحك له الخلافة وقد اجتمع له الامران كلاهما؟ وهي كناية موفقة لبلوغها بالدلالة إلى اقصى غايتها وقد اضيفت عليها صيغة المبالغة (مبشر) شحنه دلالية كبيرة فهو منصوب عليه والحديث عن خلافته متواتر ومسحة فنية من خلال المزوجة بين البشرى والبهجة وكأنه يريد أن يقول انه الموعد المؤمل الذي ينتظر الناس خلافته ويبشر بعضهم بعضاً.
- (اجار مملقها) أي انقذ الفقير من املاقه وكفاه مؤونته وهي استعارة لطيفة لأن في (أجار) دلالة اضافية مفادها أن الناس تقصده وتأوي إليه لقضاء حوائجهم وكفايتهم امورهم، وقد حقق له الجمع بين (مملقها والاملاق) فضلاً عن المسحة الفنية في الانسيابية والتنظيم والاتساق في التعبير حقق له دلالة اضافية فلم يقل (حفظها من الاملاق) وإنما قال (أجار مملقها) أي أن الأمة ومن خلال التلميح البعيد والاشارة الخفية التي لا تخلو من فطنة وذكاء لم تزل تعاني من الجور والظلم والفساد والفقر والحرمان حتى وجدت من يجبرها ويذود عنها ويستلها من واقعها الفاسد الأليم الذي بلغ ما لا يطاق وبكفيها خشية العوز والاملاق، فضلاً عن الدلالة النفسية التي يشع بها الفعل (اجار) فهو الغريب المطرود المطارد المغيب لم تزل تلاحقه نقمة المأمون وسخطه وتترصد له عيون الحساد والمبغضين لتتشفى به، وهو بين هذا وذاك يعيش الحرمان والقلق والتهميش. وقد وفر المصوت الطويل (حرف المد: الالف) مساحة صوتية كافية لينفس الشاعر من خلالها عن قلقه وهمومه واحزانه وهو اشبه بموجات صوتية أو قل كهرومغناطيسية متداخلة يفرغ من خلالها المكبوت الشعوري المتراكم. ولما كانت المعاني متعددة ومتشابهة فلا بد إذن من اضافة أو تعزيز في

المستوى الصوتي للمحافظة على التوازن بين الالفاظ والمعاني ولأجله جاءت همزة التعدي لتثبت في نفسه وقلبه إحياءات التسلية والعزاء ايذانا بأن زمن التشرد والغربة قد ازف ومضى وارتحل.

(قل للالى): لقد افادت جانبية اللام أو انحرافها ضلال المناوئين وانحرفهم عن المسار الحق ولأجله اتبع ذلك بقوله (الهدى) ولما جاء بـ(الهدى) اتبعها بالتعسف مع أن نقيضها (الضلال) وذلك أن المتعسف من حاد عن الصواب مع علمه بحقيقته وكنهه أما الضال فهو من لم يوفق للرشاد، ولملائمة المعنى قال (صرفوا) من التصريف وهو التحول من حال إلى حال، ومنه تصريف الرياح أي تحويلها من جهة إلى جهة وتصريف الدراهم تحويلها من فئة إلى أخرى والمعنى عدلوا عن الهوى وانحرفوا عن جادة الصواب ولم يقل (عدلوا أو تحولوا) وإنما قال (صرفوا الوجه) وهي من أحسن الكنايات فالوجه أو الوجهة هو الجهة أو الطريق ومنه قوله تعالى [لكل وجهة هو موليها] (٤٣) أي طريقة وهي الاسلام (٤٤) و اراد الشاعر الفطرة أي انهم غيروا السنة وبدلوا الفطرة التي فطرهم الله عليها وحادوا عما أمرهم الله به من اتباع الهدى بتركهم طاعة خليفة رسول الله وعصيانه والخروج عليه، فلما كانوا في حال من الاضطراب النفسي والقلق والانهيار وعدم الاستقرار عبر عن ذلك بالجملة الفعلية (صرفوا الوجه) ثم انكر عليهم ذلك غاية الانكار بالانتقال إلى الجملة الاسمية (متعسفين) ناعياً عليهم اصرارهم على التمرد والعصيان والخروج على وحدة الصف والجماعة ولأجل ذلك تراه يلجأ إلى تكثيف الدلالة باستعمال صيغتي (تَفَعَّلَ وَفَعَّلَ) في قوله (متعسفين ، تعسف ، المراق).

(أني احذركم) لقد كان الشاعر موفقاً جداً بالالتفات أو الانتقال بالخطاب من الغائب إلى ضمير المخاطبة في زيادة توتر السياق لإرباك الخصم وشد المتلقي إليه، وقد جاء بـ(الضيغم) مستعاراً لممدوحه و اراد سرعة الانقضاض على فريسته ليدل بها على سرعة الاقتحام وتضييق الخناق على العدو ثم دقة اختيار المقتل، وهو (موائل الأعناق)، ليختزل الحديث عن فروسيته وشجاعته لأن ما ذكره يعد من اهم الصفات التي يلزم توفرها في المقاتل وهو يقنم سوح الوغى، وقد جعل هذا الضيغم مولعاً بالانقضاض على فريسته لتأكيد ما للممدوح من باع طويل في ميدان الحروب. ولعله اراد بـ(حطم الاعناق) كسرهما وهي عادة كانت معروفة لديهم وفيها نوع من الازلال للمقتول فهو لا يستحق أن يضرب بسيف أو يطعن برمح لأنه ليس بفارس بل يكفى بكسر عنقه. والممدوح متأهب ثبت الجنان لا يروعه قراع السيوف ولا بريقتها، وقد اضاف الشيء إلى نفسه في (زجل الرعود) و (لامع الابراق) لزيادة التكتيف وقوة الدلالة على احتدام القتال.

وقوله (الموت بين ترائب وتراقي) كناية عن شدة الهلع الذي اصاب العدو وهي صورة مأخوذة من قوله تعالى (كلا اذا بلغت التراقي) (٤٥) فقدم لها بذكر صفات القائد المظفر والقساور الذين كانوا معه التي تتمثل في سرعة الاقتحام وثبوت الجنان والتأهب والاستعداد للقتال والجد وشدة الغضب والولع بضرب الأعناق (درب، متأهب، لا يستفز جنانه، مشمر، متعشم، ليث، هزبر، اهرت الاشداق) ولم يلبث أن انهزم العدو ليؤكد الشاعر هزيمتهم وانكسارهم عن طريق النفي بقوله (لم يبق) وهو ابلغ في الدلالة فلم يبق منهم إلا من كان ينزاع الموت فلا قدرة له على الفرار ولا امل له في البقاء. على انك تجد المعنى يتكرر بصور مختلفة وهذا هو حال المنتصر المظفر يحاول أن يصف كل صغيرة وكبيرة وكأن الشاعر يعتمد إلى رسم لوحات فنية مدبجة بالألوان والاشكال والزخارف لتصوير الواقعة من اماكن مختلفة وجهات متبانية والتقاط اللقطات التي تسترق النظر وتخلب الالباب وتعلق في النفوس ولأجله ينتقي من الالفاظ المكثفة بطاقتها الغنية وشحناتها الإيحائية المتركمة.

هذا وقد مكته وزن (الكامل) من ايراد الصفات المتتابعة المتناغمة مع تفعيلاته بكثرة حركاتها وقلة الوقفات والخلو من الزخافات والعلل وكأنه يرسم لممدوحه لوحة فنية متناسقة الالوان والظلال تجد فيها الوانا ورسوماً ونقوشاً على صور واشكال مختلفة، هي صور يحلم بها خيال الشاعر وتنشدها الأمة وهي تنتظر إلى خليفته، كما انه جاء متوافقاً مع حركات الحرب من الكر والفر واشتباك السيوف ثم جاءت شدة حرف الروي (القاف) وقوة حركته منسجمة مع شدة هول المعركة وفزع العدو واضطرابه وقوة الضرب بالسيف وشدة تدفق الدماء بعد فلق الجماجم وتطاير الأعناق...

المبحث الثاني

(الثناء)

قال في رثاء الأمين (٤٦):

يا خير أسرته وان رغبوا	إنني عليك لمثبت أسف
الله يعلم أن لبي كبدأ	حرى عليك ومقالة تكف
ولئن شجيت لما رزئت به	إنني لأضمر فوق ما أصف
هلا بقيت لسد فاقتتا	أبدأ وكان لغيرك التالف
قد كان فيك لمن مضى خلف	ولسوف يعوز بعدك الخلف
لا بات رهطك بعد هفوتهم	إنني لرهطك بعدها شنف
هتكوا لحرمتك التي هتك	حرم الرسول ودونها السجف

ونبتت اقاربك التي خذلت
لم يفعلوا بالشط إذ حضروا
تركوا حريرهم نفلاً
ابتدت مخلصها على دهش
سألت معاجرهن واجتليات
فكانهن خلال منتهب
ج ملك تخون ملكه قدر
هيهات بعدك أن يردوم لنا
لا هيبوا صوحفا مشرفة
افبعده عهد الله نقتاه
فستعرفون غداً بعاقبة
يامن تخون نوممه ارق
قد كنت لي املاً غنيت به
مرج النظام وعاد منكرنا
والشمل منتشر لفقدهك والدينا م سدى والباب منكسف

نلاحظ في القصيدة ما يأتي:

- ١- تدفق مشاعر الشاعر بانسيابية عالية وفرها وزن الكامل بتدفق حركاته وارتفاع مستوى التنعيم.
 - ٢- حرارة العاطفة التي تفيض بها القصيدة من قرننها إلى القدم وشدة التوجع والحسرة وقوة الانفعال وتصاعده التدريجي وبلوغه الذروة في الابيات الاخيرة من القصيدة (مثبت اسف، يبقى لنا شرف، صوارخ هتف ، الدنيا سدى ، الباب منكسف).
 - ٣- الالفاظ بكائية فيها لين توحى بوقع المصاب على قلب الشاعر واستسلامه للأسف والبكاء واليأس ولجؤه إلى الدعاء الذي يوحي بانهم امية الشاعر من الواقع الأليم وركونه إلى التشتت والضياع.
- إن جراحتي فيك لعقيقة وحزني عليك لشديد فلا احد سيفي بعدك ولا احد سيحل مكانك في خلافة هذه الأمة التي ستؤول إلى الخراب، إلى السلب والنهب، إلى الذل والهوان، بل في نفس الشاعر الذي يتنبأ باقتراب زمن التشرد والضياع وستدول عليه صروف الدهر ونوازله ليكتفي دون الدر بالصدف وبعد العز والغنى بالشجون والاسف فهو (مثبت اسف ، الدهر مختلف ، صوارخ هتف ، قلبه لهف ، الشمل منتشر ، الدنيا سدى ، الباب منكسف) . ولما كان الشاعر يتنبأ للامة بسقوط هيبة الخلافة وتسلب الفرس والاتراك على رقاب العرب فلا بد إذن من اعطاء مهلة زمنية (سوف).
- انكم ستردون على الذل والهوان وستعودون التفكير والنظر إلى الوراء وتقون للمراجعة، للندم وتأييب الضمير. ولما كان الامر متيقناً من الحيف والذل والهوان وستعودون التفكير والنظر إلى الوراء وتقون للمراجعة، للندم وتأييب الضمير. ولما كان الامر متيقناً محسوماً لدى الشاعر فهو (مثبت اسف ، مقلة تكف، قلبه لهف والشمل منتشر والدنيا سدى والباب منكسف) بل (هو يضمم فوق ما يصف) أما بالنسبة لغيره من المناوئين والغادين الناكثين القتلة أو الرعاع السذج المغلوبين على أمرهم أو المنافقين المتملقين الذين يزمرون مع كل مزمور وينعقون مع كل ناعق فهو مجرد هذيان وسخافة من الشاعر فلا مناص من مناسبة ذلك بقوله (وان رغموا ، ولسوف ، فستعرفون غداً ، اوردوا وقفوا).
- تلك الأمة التي غدرت براعيها وسيدها ولم تحفظ امانه ولم ترع لا عهداً ولا ميثاقاً فانتهكت حرمة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وهتكت حرمة فليترق الشمل لا رأيت له عزا ولا شرفاً ولتذهب الدنيا على الدنيا العفا. سيعود الشاعر ويصرح بما كان يضممه بعد أن تنكشف الحجب وتزول الواقعة عن هذه الأمة فلنكن (سوف) إذن بمنزلة صرخة مدوية للأجيال التي ستقف ترددها ما تعاقب الزمن وتقوى بطين المحن. أي انه وان اضطر إلى التسوية وان طال الزمن إلا أن البلاء قادم والندم متحقق لا محالة ولأجله اكد

باللام. لقد فتحت له (سوف) منفذاً للتفريغ والتخفيف من حدة المكبوت في النفس للتسلية والعزاء واتاح له المزودج الصوتي (س – و)، الذي يتكون نتيجة الانتقال بين حركتين مختلفتين ، التحول والانتقال من عصر الاستقرار والسكون والنعيم إلى عصر القلق والاضطراب والحيرة والمرج، ولم يقل (كنت خلفاً) وإنما (كان فيك) أي بعض منك بل أنت اكبر من الخلف واكبر من أن يكون لك خلف أو يساويك النظر. وانك تجد في احالاته المتكررة على الموروث الديني صدق المشاعر وهو يشيع روح الانتقام والرغبة في التشفي عزاء للنفس وتسلية لها في قوله (فأوردوا وقفوا) أي قفوا للحساب وابشروا بالجحيم في اشارة ذكية إلى قوله تعالى [وان منكم الا واردها] (٤٧) وقوله [وقفوهم انهم مسؤولون] (٤٨) وانظر إلى قوله (وعاد منكرنا عرفاً وانكر بعده العرف) من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كيف بكم إذا رايتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً) (٤٩) فما عليه بد بعد أن وهى وهذه الشجا واختلف عليه صرف الزمان وبعد أن وهنت قواه أن يؤذي إلى ركن شديد فليتعزى إذن بالله عز وجل ولينذرهم بطشه ويتوعدهم عقابه وكأنه يقول منيتم إذن بالخزي والعار وسوء العاقبة بعد أن ابرزتم انياب الغدر ودسستم زعاف الحقد وخنتم الامانة والعهد ونكثتم الميثاق وهنكتم حرم الرسول ورايتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً فأوردوا وقفوا وستعلمون غداً لمن عقبى الدار وحسبه عزاء أن ماجرى بعين الله وهو [عزيز ذو انتقام].

لقد افاد اجتماع الهمس والشدة أو الضعف والقوة، اعني همس التاء وقوة التضعيف في (تفعل)، التلازم التاريخي وتكرر المأساة وأبان عن جدلية الحياة وهي تجمع بين التناقض والتضاد وكان قدر الصالحين أن يخونهم القدر ويبطش بهم الزمان وكان شدة وقع المصيبة وقوة الصدمة جثمت على صدر الشاعر وكتمت انفاسه ليكابد في همس ويصرخ في موات. نعم هو ارق لهف القلب تخونه الدهر وهذه الشجن ولأجله ما انفك يستحضر الواقعة ويستعيد التفاصيل فالصورة ماثلة أمامه لم تفارق فكره ومخيلته (تركوا حريم ابيهم نفلا، ابنت ماخلها على دهن، سلبت معا جرهن ، رنت النصف ونوزع الشنف وتكشف الصدف) ولعل الشاعر هنا يستثير حفيظة العلويين ويستجد بهم ويحفزهم على الثورة والانتقام (هنكوا حرم الرسول، تركوا حريم ابيهم) وقوله في ابيات مشابهة* (محارم من آل الرسول استحلّت، وسرب ظباء من ذؤابة هاشم) وهو يعلم علم اليقين أن العلويين لا ناقة لهم بذا ولا جمل! وهذا ما اسخط المأمون واغاضه ولم يتورع من سؤاله – بعد أن عفى عنه – عن حقيقة الأمر وعلة التقول والكذب فما كان منه إلا أن يرد بما يرد به الحاذق الفطن ويضمّر ما انطوت عليه سريرته لطفاً بنفسه وحقناً لدمه، ودونك هذين البيتين من احدي روائعه (٥٠):

فهلأ مات قوم لم يموتوا ودوفع عنك لي يوم الحمام
كأن الموت صادف منك غنماً أو استشفى بقربك من سقام

لقد اشتفى منك الموت لأنك كفؤ كريم وقد استشفى بك لأنك شفاء لكل سقيم ! نعم هكذا يكون القريض إذا جاء الطبع وانتقضت القريحة...

*الابيات هي قوله في رثاء الأمين:

ومما شجى قلبي ويسكب عبرتي محارم من آل الرسول استحلّت
ومهتوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدت
إذا خفرتها روعة من منازع لها المرط عادت بالخشوع ورنّت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
ارد يداً مني إذا ما ذكرته على كبد حرى وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغطاة ولا بلغت آمالهم ما تمنّت

(اشعار الخليل (٣٢)).

وفي المطلع – كما ترى – انتقال موفق من الزمن الماضي إلى المستقبل أي أن الدموع ستبقى تجري، بل الدماء تسيل! وما الشاعر إلا حلقة وصل تربطه بالاجيال اللاحقة، انها عبرة المضطهدين وصرخة المظلومين في كل زمان ومكان لأن حرمة رسول الله انتهكت وستنتهك وحرمة استحلّت وستستحل مادام الظلم يتجدد وصور الطغيان تتولد إلى يوم القيامة إذن لتسكب العبرات وتسلل الدموع انهاراً ما دام في كل عصر طغاة متجبرون وما دام في كل حقبة مضطهدون مظلومون.....

المبحث الثالث

(الغزل)

قال الحسين (٥١):

وابأبي ابيض في صفرة كأئنه تبير على فضه
جـردـه الحمـام عـن درة تلـوح فيـها عـن بـضه
غصن تـبـدى يـثنى عـلى مأكـمة مثـلـة النهـضه

طـل علـى تفاحـة غضه	كأنـمـا الرـش علـى خـده
فبعضه يـذكرني بعضه	صـفاته فاتتـة كلـها
أو لا فـمن وجنتـه عضه	يـاليتني زودني قبـلة

عجباً لهذا الوجه الفضي الذي مزاجه الشعاع التبري الاصفر كأنه قطعة الثلج وقد غازلها شعاع الشمس الاصفر الذهبي. وما إن تجرد الغلام عن ثيابه حتى لاحت للشاعر عجيزة ممثلثة جذابة مع ضمور البطن ونعومتها وطبيها كالعكن مشوبة بصفاء الدر وبريقه.

تركيبية استعارية تشبيهية ترقصها حركية الاداء وسرعه التي وفرها وزن (السريع) مع حرارة الانفعال وتدفق العواصف وتلاحق الوصف وتراكم الصور في (بياض الوجه المشوب بصفرة* وحمرة الخدين والتمايل والتثني والطراوة والفتوة مع تثاقل في القيام أو النهوض لامتلاء العجيزة وتماسكها).

(كأنما الرش على خده) :

لقد فعلت قطرات الماء المتناثرة على خده المتورد فعل قطرات الماء وهي تتناثر على شجرة التفاح المثمرة الغضة من الجلاء والبريق والاشراق للمعان ولعله بـ (الرش) تلك الدموع المتناثرة وهي تحنق ذلك الخد المتورد بعد أن جرده الحمام بل الشاعر عن ثيابه!!.

* أخذ هذا المعنى من قول امرئ القيس في معلقته:

كـبـكر المـقـانـاة البـيـاض بـصـفـرة

الديوان (٤٣)

قال الحسين (٥٢):

إن من لا أرى وليس يراني

نصب عيني ممثل الاماني

بأبي من ضميره وضميري

ابداً بالغيب ينتجيانني

نمن شخصان إن نظرت وروحان م

إذا ما اختبرت يمتزجان

فإذا ما هممت بالأمر أو هم بشيء م

بدأتـه وبـداني

كان وفقاً ما كان منه ومني

فكأنني حكيتـه وحكـاني

خطرات الجفون مناسواء

وسواء تحرك الأبدان

تكشف الابيات عن نوع جديد من الغزل لا يشبه الغزل التقليدي الذي مداره التشبيهات المادية الملموسة بل اخذ يدور حول المعاني الفعلية التخيلية واطلق عليه الدارسون (الغزل المعنوي) (٥٣) وفيه ما فيه من حديث النفس للنفس وامتزاج الروح بالروح. وقد بالغ كثيراً في قوله (خطرات الجفون) واراد الخواطر والافكار التي تدور في مخيلتهما ولما كانت الخطرات فيها معنى السبق، مأخوذة من السبق في الرهان ونحوه، اخبر عنها بانها سواء أي جاء الخبر وهو قوله (سواء) موازياً ومعادلاً وكأنه يخفف من سرعة اقتحام هذه الخواطر الذهن لتتعادل كفتا الميزان ويتكافئ طرفا المعادلة المادية المعنوية، اعني خطرات الجفن وخطرات الذهن أي لحظة اطباق الجفون أو اهتزاز الاهداب تساوي لحظة اقتحام الخاطرة للذهن. لقد وري الشاعر عن تلك الخطرات التي في الذهن بحركة الجفن أي أن المحرك العصبي أو الدماغ المسؤول عن الافعال اللا ارادية لديهما يصدر الاوامر في لحظة واحدة او قل لحظة واحدة وكأنه يشير إلى مبدأ الحلول. ولما كان الامر كذلك فمن الطبيعي جداً أن تكون الحركات المادية الارادية واحدة في كليهما، ولا يمكن الحمل على المعنى الظاهر لأنك بذلك تفسد المعنى الذي اراده في الشطر الثاني (وسواء تحرك الأبدان) فلا معنى لذكره الاتحاد والتماثل في حركة الاعضاء الارادية بعد أن اغنى عنه بالإتحاد اللارادي. ولما كان المعنى دقيقاً في نفسه البسه ثياباً متنوعة جميلة فانظر قوله (ضميره وضميري، بدأتـه وبداني، حكيتـه وحكـاني، ينتجيان، يمتزجان) تجدها كلها تشير إلى معنى الاتحاد والتلازم.

قال يشتكي هجر الحبيب: (٥٤)

أن دب حساد ومل حبيب

وأورق عود الهجر أنت جنيب

ليبلغ بنا هجر الحبيب مرامه

هل الحـب الإعبـرة ونحـيب

كأنك لم تسمع برفقه ألفة
وغيبة وصل لاتراه يـؤوب
كأنني إذا فارقت شخصك ساعة
لفقدك بين العالمين غريب
وقد رمت أسباب السلو فخانني
ضمير عليه من هواك رقيب
فمالي الـى ماتشبهين مسارع
وفعلك ممالا لأحب قريب
أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة
وغضبي على أشياء منك تريب
كأن لم يكن في الناس قبلي متيم
ولم يك في الدنيا سواك حبيب
الـى الله اشكو إذ ذكرت فلم يكن
لشكواي من عطف الحبيب نصيب

(أورق عود الهجر) اخذ كلام الواشين والحساد يدب في جسد الحبيب فلا مناص من الغربة والبعد. وبدأ اليأس يأخذ طريقه الى قلب الشاعر فلا لقاء ولا وصال. وقد جعل لهجره عوداً علججه الاستعاره وجعله مورقاً. ثم انتقل في البيت الثاني الى شكل من اشكال التسلية والعزاء، عزاء النفس بموت الوصال (وغيبة وصل لاتراه يـؤوب) وانقطاع الامل وليكن العزاء بالبكاء والنحيب، ولكن هذا العزاء لم يتحقق ولم تتطفئ نار الهجر بالبكاء والنحيب لأن قلب الشاعر ضمير ممن لايرجى منه الوفاء ولايؤتمن جانبه فقد خان الشاعر قلبه بعد أن كاد يستجيب للأمر الواقع ويسلي عن الفراق بالبكاء والصراخ لأن الرقيب مائل يرقب وهو شخص الحبيبة أي صورتها فلا وصال يرتجى ولاعزاء متحقق ولا أمل باستعطاف الحبيب بعد أن قسا ومل وجفا فلم ير الشاعر بدأ من الشكوى إلى الله عز وجل لأنه موضع الشكوى وهو اهلها وهو القادر وحده أن يكشف بلواه فهو الذي يغير النفوس ويقرب البعيد ويصفح عن الذنوب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد وبذكره وحده تطمئن القلوب.....
والنص بعد ذلك يفيد بالمشاعر الصادقة وحرارة العاطفة. وقد ساعده وزن (الطويل) بتباطي تفعيلاته وكثرة وقفاته على بث شكواه وتفريغ احساسه وجاءت حركة الروي القوية متناسبة مع ألم الفراق ووقع الهجر على قلب المحب....

المبحث الرابع

(الخمرة)

قال الحسين: (٥٥)

أدرك الكأس علينا
أيها الساقى لنطرب
ماترى الليل تولى
وضياء الشمس يقرب
والثريا شبيهه كأس
حين تبودو ثم تغرب
وكان الشـرق يسـقي
وكان الغـرب يشـرب

(أدر الكأس): حركة دائرية متواصلة مع اهتزاز بايقاعات منتظمة اشبه بالاحان أو الضرب على العود مع الانشداد والطرب تصاحبها حركة أعضاء الجسد، وفيها نوع من المعالجة النفسية من (المداورة) وهي المعالجة، فهذا الترنج أشبه مايكون بما يفعله الدراوشة أو ما شابه ذلك من أفعال. ولعله أراد ان الخمرة (دائرة) أي تدور بالإنسان أحوالاً مختلفة بين النشوة والطرب والترنم والترنح وفقدان الوعي والتوازن.

(والثريا شبه الكأس): كما الثريا تفتersh السماء بنورها وبريقها واشعاعها فإن الشعاع المنبعث من الخمرة يغطي او يستغرق المساحة السطحية للإناء أو الكأس ولما كان وجه الشبه هو الاستغراق او الحلول أي الوصول إلى أبعد نقطة ممكنة استخدم التشبيه المقلوب الذي يوسع من المساحة الدلالية أي البلوغ بالدلالة إلى أقصى غايتها. وقد حقق له المصوت الطويل في (تبدو) ، الذي يستغرق مدة زمنية أطول عند النطق به، انسيابية الشعاع وافتراشه للسماء، وهو مالا يحققه الفعل (تظهر) الذي يفيد التعاقب او التقطع والتفاوت وعدم الاتصال أو الفعل (تشرق) الذي يفيد تناثر الشعاع وتقطعه من (التشريق) وهو تقديد اللحم. (وكان الشرق يسقي):

(١) أراد الخمرة فعبر عنها بالشرق لأنها مشرقة بنورها وكلما يصب الخمر في الكأس يتجدد إشراقها وضياؤها أما الغرب فهو الشارب أو الشاعر لغروب الوعي وفقدان التوازن وكلما يكثر من تناولها يزداد التوهان وفقدان السيطرة كما ان الشمس في حال الغروب تضمحل شيئاً فشيئاً.

(٢) أراد الساقى فاستعار له الشرق لحيويته وإشراق وجه نتيجة انعكاس شعاع الخمر عليه وهو مشرق لأنه مفعم بالحيوية والصبابة والصباب بل الإشراق يعني الحياة لأنه مفعم بماء الحياة أو ماء الصبا، الغرب أو (الشاعر) يعني الظما والتعطش واللهفة ليروي ظمأه بماء الحياة فهو أشد مايكون حاجة إلى لثم شفتي هذا الساقى والاشتفاء بماء خديه وريقه.

(ماترى الليل تولى): أراد زمن بزوغ الفجر وهي صورة استقاها من قوله تعالى [والليل إذ أدبر. والصبح إذا أسفر] وقد استعمل صيغة (تفعل) والاستفهام الانكاري والرؤيا اليقينية فهذا الليل قد مر بسرعة شديدة أي انه قضى ليله في لهو ومعاقرة للخمر لكنه لم

يكتف لأن الليل مضى سريعاً دون أن يروي ظمأه وهو المنهوم المتهاك، وقد انكر على الساقى تباطئه في اعداد الخمرة بل هي عملية تنبيه لهذا الساقى المتعب الذي قضى ليلته يعد الخمرة ويمزجها ويطوف بها على الندمان حتى اصابه الضعف والفتور وغلب عليه الكرى والشاعر غارق في الثمالة ويطلب المزيد والشمس بدأت تدب والنهار اقبل ليعكر صفوهم ويهتك ستورهم ويخرج الناس من بيوتهم وتكثر الحرى وتتعالى اصوات الناس بين غاد ورائح بل تتعالى صرخات المجتمع وصيحات النساك والعباد بوجوه هؤلاء المتهتكين، ولعل اقتراب ضياء الشمس هو اقتراب الساعة وصيحات النشور! إنه صراع بين (تولى) و (يقرب) بدلالة التضعيف وحرف (الراء) الذي يفيد التكرير والتعاقب أي ذهاب بعد ذهاب في (تولى) ومجيء بعد مجيء في (يقرب) ثم حنجرية الهمزة وهي اشبه بعقدة يلتقي عندها الوتران الصوتيان لينطلق صوت الهمزة الذي يدير عقدة الصراع أو ذروته. بل هو تهكم بالدين واستخفاف بالفرائض وانكار أو تنكر للبعث والنشور باستعمال اسلوب الاستفهام الانكاري أي انه يعاقر الخمر ويرتكب المحرمات في زمن الفريضة عتواً واستخفافاً وفيه مسحة الحاد بالتهكم من ضياء الشمس أو اقتراب البعث والقيامة وهي لحظة شك واضطراب نفسي وانهازامية النفس أمام الحقيقة الكبرى وهي ضياء الشمس أو حلول القيامة وهي لحظة تكشف عنها همزة الاستفهام المحذوفة التي حذفها الشاعر في لحظة ارتكابه المحرم ومعاقرة الخمر، إلا ترى انه استخدم الفعل (ادر) في مطلع ابياته أي اسقني جرعات متكررة ومتواصلة لتعجل لحظة موتي أي لحظة خلاصي من الصراع الدائب والشك القاتل الذي بلغ ذروته ولم يعد الشاعر يحتمل، لذلك هو يعجل بلحظة الخلاص وما دام الموت قادماً والخلاص سريعاً إذن ليكن الموت والخلاص بكأسه الاخير من شرابه المفضل الذي عاش له وافنى حياته فيه ولكن من كف ذلك الغلام الساقى الوسنان الفاتر الطرف الذي احبه وعشقه فليشرق الشرق وليشرب الغرب لعل الغرب يعود فيشرق من جديد ولكن هيهات له ذلك فلا الشرق يسقي ولا الغرب يشرب بدلالة (كأن) لأن التشبيه شيء والحقيقة شيء آخر. قاتل الله الخمرة فإنها تجر صاحبها إلى الهلاك إلى الكفر والالحاد هلاك النفس وهلاك الدين وهلاك الحياة

قال الحسين (٥٦):

من لاصب لا يرعوي لملام	نضو كأسين من هوى ومدم
عاد من لوعة الصبابة بالكأ	س وخلصى الملام للوام
يانديمي لا تنام عن الرا	ح ولا ترقبياً سفور الظلام
هاجني للصبوح نقر النواقيس	ونجوى حمامة وحمام
فأصبحت قبيل الصباح مداما	قهوة موزة بماء غمام
وألما عن المنازل بالقة	فص فنوحاً نياحة المستهام

الشاعر هنا يعاني تجربة في الغرام فاشلة بدلالة (عاد من لوعة الصبابة) أي عاد منهزماً فما كان منه إلا أن يعوض بالخمرة أو يتسلى بها منها فالشاعر مشدود بحبلين يتجادبانها فالغرام يستهويه ويستبد به والراح تريحه وتسليه ولأجله لا ينفك عن طلبها . ويتساءل الشاعر عن يعينه على الخلاص من هذا الواقع المؤلم أو الصراع الدائب الذي تصور لك طرفيه هواجس الشاعر ومخاوفه وهذياناته ففي الطرف الاول نقر النواقيس وملامة اللوام والصباح وعدم الارعواء وعودة الصبابة وسفور الظلام (لا يرعوي ، عاد ، خلى ، هاجني) يقابلها في الطرف الثاني (لا تنام ، لا ترقباً ، اصبحاني ، نجوى الحمام ، ماء الغمام) فيأمر النديمين أن لا يفترا عن السقي ولا يرقبوا انكشاف الظلام ففي انقطاع الشراب عودة إلى لوعة الغرام وفي انكشاف الظلام استفاقة من الهذيان فهو لا يريد النوم لأنه لا يريد الاستفاقة ! وهو لا يرعوي لملام لأن الساقى لا ينام ولا يترقب انكشاف الظلام !! ويؤخر الشاعر الاجابة عن سؤاله إلى البيت الاخير ليجعل في البكاء على المنازل أو الاطلاع صورة المنقذ الذي يبحث عنه، أي لم يجد بدا من أن يتأسى بأسلافه من الشعراء الذين وقفوا على تلك الديار البالية وليس هذا بيت القصيد فلقد ورى الشاعر بتلك المنازل الدائرة عن اندثار الامل وانهازامية النفس وتحولها إلى ركام وأنقاض شبيهة بأنقاض (توضح والمقراة) فحق لنفسه أن تنوح ... تنوح نياح المستهام وحق له أن يتعاطى الصبوح ... ويتقهوى بماء الغمام ...

المبحث الخامس

(المجون)

قال الحسين (٥٧):

تيسري للممام من أمم	ولا تراعي حمامة الحرم
قد غاب - لا أب - من يراقبنا	ونام - لا قام - سامر الخدم
فاستصحبني مسعداً يفواضنا	إذا خلوننا في كل مكتتم
تبذلني بذلة تقر بها العين	ولا تحصري وتحتشمي

ليست نجوم السماء راكدة	على دمي ليأنا فلم ترم
ما لسروري بالشك ممتزجاً	حتى كأنني أراه في حلم
فرحت حتى استخفني فرحي	وشببت عيني اليقين بالتهم
أمسح عيني مستثبناً نظري	إخالي نائماً ولم أنم
سقياً للليل افنيت مدته	بيارد الريق طيب النسمة
أبيض مرتجة روادفه	ما عيب من قرنه إلى القدم
إذ قصبات العریش تجمعنا	حتى تجلت أو اخر الظلم

هذه الفتاة ليست كبقية النساء، تصد وتنمغ في أول اللقاء حتى تلين في آخره، بل هي طيبة منقادة بين يديه مستجيبة لإمره غارقة في غرامه. ولما كان الأمر كذلك فلا بأس بتيسري اللهو ولا تحرجي من اللمم فإن الرقيب ما عاد يرى أو يسمع، وقد ذكر النتيجة وأراد السبب أي ما يوجب اللمم - وهو صغار الذنوب - من الفعال كاللثم والتقبيل ونحوه دون المباشرة، وهو نوع من الاستدراج أو التحايل لبوغ ما يصبو إليه. وقد استهل به الإبيات لأنه أول ما يكون بينهما عند اللقاء. وجاءت أفعال الأمر (تيسري، فاستصحي، تبذلي) وأفعال النهي (لا تراعي، لا تحصري، لا تحتشي) لتدل على ما ذكرناه من افتتان هذه الفتاة به وإقبالها عليه دون أدنى حياء أو احتشام، فهي أوامر ونواه يراد بها الأخبار أي أنها بذلت له ما تقر به العين ولم تحتشم في تمكينه النيل منها ما يتمناه من أنواع اللذة، سويها وشاذها، فلم تتروع من شيء ولم تبخل عليه بشيء وهذا جعله مشدوداً بحبلين يتجادبانه، حبل الشك وحبل اليقين فهو شاك متيقن وهو نائم يقظ وهو بين الحلم والوعي، بين الحقيقة والخيال لذا نراه يكرر أو يؤكد هذا المعنى في ثلاثة أبيات متتالية:

ما لسرور بالشك ممتزجاً	حتى كأنني أراه في حلم
فرحت حتى استخفني فرحي	وشببت عيني اليقين بالتهم
أمسح عيني مستثبناً نظري	أخالي نائماً ولم أنم

هذه الفتات البيضاء الممتلئة عذبة الريق مكتملة الأوصاف يفوح عطرها بل سحرها كالنسيم لم يستغرق في صفاتها وذكر محاسنها بل أغناه عن ذلك قوله (ما عيب من قرنه النالقدم). ولا شك أن رقة هذه الفتاة وصفاء الليلة التي امضاها معها وأفنى مدتها يروي ظمأه ببارد الريق، التي طالما تمنى لو أن الزمن يتوقف فلا تفنى تلك الليلة ولا تتجلي أو اخر الظلم، كانت وراء تلك الألفاظ الرقيقة الشفافة وانسيابية التعبير وموسيقية التي تتم عن طبع وحس مرهف وفنية الانتقاء كقوله (غاب لآب، نام لاقام، حمامة الحرم، سامر الخدم، استخفني فرحي، بارد الريق). أما قوله (غاب لآب) فهو من الكلام الذي تتداوله النساء في البيوت والأسواق عند الغضب أي (روحة بلاجية) وما شابه ذلك، وأنت ترى ما فيه من رقة وقوة التنعيم وعذوبته التي ولدها التسجيع أو الترصيع بين (غاب و آب) و (نام وقام) وقد اتاح له المصوت الطويل (الألف) فرصة أكبر للتشفي من خلال المدة الزمنية التي يستغرقها عند النطق به ولاشك أن قوة اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالباء تكشف عن شدة الضيق والتبرم والحرج الذي كان يعانیه من ملازمة الرقيب وتسلطه...
قال الحسين (٥٨):

زائرة زارت على غفلة	يا حبذا الزورة والزائره
فلم أزل أخذعها ليلاتي	خديعه الساحر للساحره
حتى إذا أذغنت بالرضا	وأنعمت دارت عليها الدائره
بت إلى الصيغ بها ساهراً	وباتت الجوزاء بي ساهره
أفعل ما شئت بها ليلاتي	وملء عيني نعمه ظاهره

(زائر، زورة، ساحر، ساحرة، دارت، دائرة) ألفاظ خفيفة سهلة تصلح لمثل هذه الظرافة وهذا العبث وهذه المجنونية، وعلى الرغم من كون الزيارة عن غير موعد سابق ولا زمن معلوم وعلى غير المتوقع تحل عليه ضيفة هذه الفتاة الساحرة، أي العالمة بأشكال المكرو الخديعة، فإن هذا الخليع الساحر المخادع تمكن من بعد أخذ ورد من خداعها وترويضها. ولعله أراد بقوله (على

غفلة) أنها لاتعلم بحقيقة الشاعر ونواياه لذا نراه يجانس – على هذا المعنى- بين الساحر والساحرة ، فهو الماكر المخادع الفاتنة بجمالها وسحر عينيها ورقتها وبعد أن انقادت وأذعت وسلمت كالظبية الوديعه بين فكي الغضنفر المفترس كان ما كان بينهما في ليلة باتت الجوزاء تحرسهم من عين كل حاسد أو رقيب. وقد مكنه وزن (السريع) الكثير الحركات وحرف الروي ذو السمة التكريرية من استيفاء مجريات الأحداث وتكرارها . وفي الأبيات الأربعة الأخيرة التي تجاوزت ذكرها تجد أن الشاعر افحش غاية الإفحاش وتجاوز كل حد في الدين والأخلاق والمروءة !! ولم يكتف بممارسة ما شاء من لذة وإشباع كل رغبة فأبى إلا أن يفصح ويفحش وهكذا يفعل المنتصر الظافر في أي زمان ومكان ... على أنني ارجح أن تكون الابيات من وضع أحد الشعراء الماجنين حسداً من عند نفسه للمنزلة التي يحظى بها شاعرنا فكانه يحاول ان يسقطه في أعين الناس من محبيه ومريديه فلم يصل الشاعر – فيما نرى – الى هذا المستوى المتحدر المموج وهذه التساقلية الوضيعة وديوانه الذي بين أيدينا دليل على ما ذكرناه.....
قال الحسين (٥٩):

وشاطري اللسان مخلق التكريه	شباب المجنون بالنسك
بات بغمي يرتاد صالية النار	ويكني عن ابنة الملك
دستت صفراء كالشعاع له	من كف عالج يدين بالإفك
يحف في طبخها بملته	دين موسى ومنتشى الفلك
كأنما نصب كأسه قمر	يكرع في بعض أنجم الفلك
حتى إذا رنحته سورتها	وأبدلته السكون بالحرك
كشفت عن وزه مزعفرة	في لين صينية من الفلك
فكان ما كان لأبوح به	في الناس من هاتك ومنتهاك

غلام ماكر بذئ اللسان حسن الشمائل والاصواف. ملك على الشاعر قلبه وافقده صوابه فما كان منه إلا أن يوقعه في شرك الغواية وقد راعه ذلك الشعاع الذهبي المتناثر فوق جبين العقيق من كف ساق يبدو لا دين له أو رقيق الدين.
(كأنما نصب كأسه قمر) : هذا من عجيب تشبيهاته واستعاراته وأعله اراد به ما يأتي:
١- النصب ما يُنصبُ فيه الكأس أي يُحْمَلُ عليه والذي يضعه الساقى فيما ينتطق به وهو ذو حلقة دائرية ولون متشعشع وكأنه يلتهم ما فاض من سلاف الكأس الذي تفور فقاعاته كأنها النجوم الطوالع وكان هذه النجوم تتساقط في فم ذلك القمر الذي يشربها أكثرأعاً.
٢- اراد نصاب الكأس أي يبلغ الكأس نصابه ومنتهاه فهو اشبه ما يكون بالبدر ليلة تمامه وهو يلتهم ويكرع تلك الفقاعات الملتهبة أو تلك الانجم الفلكية الصفراء.
لقد اعتالت الخمرة عقل هذا الغلام وجعلته يتمايل تمايل الاغصان وحركت غلمانيته وشهوته وقوله (أبدلته السكون بالحرك) كناية عن الشهوة التي اخذت تدب في اعضائه. وقد شبه عجزته – من جهة الاستعارة- بالوزة المزعفرة حلوة وامتلاء وبصينية الفلك أو كتيب الرمل نعومة ورقة وليناً. وحسناً فعل إذ لم يبيح بما كان بينهما وهما على هذه الحال من السكر والترنج والاختيال على انه ابان عن ذلك بدلالة اسمي الفاعل والمفعول...

قال الحسين (٦٠):

وعواتق باشرت بين حدائق	ففضضتهن وقد عنين صحاحا
اتبعت وخزة تلك وخزة هذه	حتى شربت دماءهن جراحا
ابرزتهن من الخدور حواسرا	وتركت صون حريمهن مباحا
في دير سابر والصباح يلوح لي	فجمعت بدرأ والصباح وراحا
ومنعم نازعت فضل وشاحه	وكسوته من ساعدي وشاحا
ترك الغيور يعض جلدة زنده	وأمال اعطافاً على ملاحا
ففعلت ما فعل المشوق بليلة	عادت لذاتها على صحاحا

(العواتق) : اراد الخمرة وقد ورى عنها بالعواتق وهي من صفات النساء. انها ليلة عرس ... بل زفاف جماعي ...! وكيف لا يكون كذلك وقد زفت إليه كنوس الخمرة بأجمل منظر وابهى حلة؟! ولما كان اللفظ اغزر إحياء وأثرى دلالة فلك أن تتصور عرائسه كنوس الخمر وقد افتضهن من الزقاق حواسرا وعب من دماثهن ارطالا، ولي أن اتصورهن ربات الخدر ما كدر صفاءهن للمس ولا شاب بريهن المس. وقد وفق الشاعر في استخدام وزن (الكامل) وهو اكثر الاوزان في حركاته فضلا عن انه عالي النغمة انسيابي خفيف الظل فهي ليلة مفعمة بالحركة والتجدد وهي ليلة اكتمل فيها الفرح وتم فيها السرور ... وليطلق القافية ... ليطلق النفس على سجيته بدلالة الفعلية المتكررة (باشرت، فضضت، نازعت، فعلت، اتبعت، شربت، ابرزت، تركت، جمعت، كسوت) ولا باس بالتسجيع أو التصريع بين (عواتق وحدائق) لإضفاء شحنة نغمية اضافية بالتمازج بين الوزن الداخلي والخارجي. انها لذة ... أي لذة؟ نشوة ما بعدها نشوة ... سرور احاط به من كل جانب ... إذن فليرتو السفاح بدم السفاح!! ليشتبع نهمه ... ليروي ظمأه ... ليطفئ نار اشتياقه... فالعواتق إذن يتخبطن لا يعين ما يصنعن من جراء الذهول أو الصدمة بعد أن اجتاح هذا الغول الكاسح حصون الكرامة وشرب دم الطهر والعفاف!! وابع كل مصون ولم يبق لهن للستر فضل وشاح بل البسهن وشاح العناق!! فليمزقن بأجسادهن ... ولتكثر الجراحات ... ولتسلّ الدماء ... فأبي الجراحات بعد جرح الكرامة لا يهون؟ نعم لقد هان عليهن كل شيء بعد أن لم يبق لهن شيء فلا بأس عليهن إذا استسلمن له وارتمين بين احضانه فلا نزاع ولا امتناع فليملن عليه اعطافهن ليفعل ما يشاء أن يفعل ... وليصنع ما يشاء أن يصنع ... وليمارس كل لذة سوية كانت ام شاذة! فلتكتمل لذاته وهو يرى الجراح ... وقد شرب الراح وعانق الصباح وظفر بأرداف ملاح!!

هوامش البحث:

- (١) ينظر في ترجمته: طبقات الشعراء (ابن المعتز): ٢٦٨ وما بعدها، الاغاني: ١١٨ / ٧ - ١٧٨ ، تاريخ بغداد: ٥٥/٨ ، الأنساب: ١٨٦/٥ وما بعدها ، معجم الادباء: ١٠ / ٦ وما بعدها ، وفيات الاعيان ١ / ١٥٤ وما بعدها.
- (٢) ظ: الاغاني: ١١٨ / ٧ الأنساب: ١٨٧ / ٥ .
- (٣) وفيات الاعيان: ١ / ٤٢٤ .
- (٤) معجم الادباء: ٧ / ١٠ .
- (٥) الاغاني: ٧ / ١٣٣ - ١٣٤ .
- (٦) ظ: نفسه: ٧ / ١٣٥ .
- (٧) نفسه: ٧ / ١٣٨ - ١٣٩ .
- (٨) تاريخ بغداد: ٨ / ٥٦ .
- (٩) اشعار الخليل: ٨ ، ظ: شعراء المجون: ١٠٢ .
- (١٠) ظ: وفيات الاعيان: ١ / ٤٢٤ .
- (١١) الاغاني: ٧ / ١٢٥ - ١٢٦ .
- (١٢) نفسه: ٧ / ١٣١ .
- (١٣) نفسه: ٧ / ١٤٠ .
- (١٤) طبقات الشعراء: ٢٦٨ .
- (١٥) أشعار الخليل: ٧٩ .
- (١٦) نفسه: ١١٩ .
- (١٧) نفسه: ٥٠ .
- (١٨) الاغاني: ٧ / ١٢٥ .
- (١٩) نفسه: ٧ / ١٤٠ .
- (٢٠) طبقات الشعراء: ٢٧٠ - ٢٧١ .
- (٢١) الزهرة: ٣٠ ، أشعار الخليل: ١٠٧ .
- (٢٢) شرح المقامات الحريريّة: ١ / ٣٢٢ .
- (٢٣) ظ: الاغاني: ٧ / ١١٨ - ١٧٨ .
- (٢٤) نفسه: ٧ / ١١٨ .
- (٢٥) ظ: نفسه: ٧ / ١٢٢ ، أشعار الخليل: ١٠٣ - ١٠٤ .
- (٢٦) نفسه: ٧ / ١٢٤ ، اشعار الخليل: ٨٤ - ٨٥ .
- (٢٧) ظ: نفسه: ٧ / ١٥٠ ، أشعار الخليل: ٦٢ .
- (٢٨) ظ: نفسه: ٧ / ١٥٧ ، أشعار الخليل: ١١٧ .
- (٢٩) طيف الخيال: ١٦٩ ، أشعار الخليل: ١٠٧ .
- (٣٠) معجم الادباء: ٦ / ١٠ .
- (٣١) ظ: نفسه: ١٠ / ١٢ ، أشعار الخليل: ٥١ - ٥٢ .
- (٣٢) ظ: نفسه: ١٠ / ٢١ ، أشعار الخليل: ٩٨ .
- (٣٣) وفيات الاعيان: ١ / ٤٢٤ .
- (٣٤) ظ: نفسه: ١ / ٤٢٥ ، أشعار الخليل: ٥٤ .

- (٣٥) ظ: نفسه ١/ ٤٢٥، أشعار الخليج : ٤٣ .
 (٣٦) ظ: حلبة الكميته : ١١٢، وتروى : (جرى ذائباً): أشعار الخليج : ٤٠ .
 (٣٧) حديث الأربعاء: ٢ / ١٧٣ - ١٨٢ .
 (٣٨) العصر العباسي الثاني (شوقي ضيف) : ٤٦٥ .
 (٣٩) ظ: نفسه : ٤٦٣ .
 (٤٠) أشعار الخليج: ٨٤ - ٨٥ . المراق : جمع مارق وهو المغالي في الدين ، والاهرت : الواسع الشدقين، وهو من أسماء الاسد، والارماق : جمع رمق ، وهو النفس الاخير
 (٤١) القلم : ٤ .
 (٤٢) صحيح مسلم : كتاب الامارة (الباب الخامس) : ٣ / ١٤٥٩ (مط عيسى البابي).
 (٤٣) البقرة : ١٤٨ .
 (٤٤) ظ: مجمع البيان : ١ / ٢٤٥ .
 (٤٥) القيامة : ٢٦ .
 (٤٦) أشعار الخليج : ٧٨ - ٧٩ .
 (٤٧) مريم : ٧١ .
 (٤٨) الصافات : ٢٤ .
 (٤٩) صحيح مسلم : كتاب الزهد (باب من يأمر بالمعروف) : ٨ / ٢٢٤ (مط محمد علي صبيح).
 (٥٠) أشعار الخليج : ١٠٤ .
 (٥١) نفسه : ٧٠ - ٧١ .
 (٥٢) نفسه : ١١٢ .
 (٥٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري : ٥٣١ .
 (٥٤) أشعار الخليج : ٢٦ .
 (٥٥) المصد نفسه : ٢٤ .
 (٥٦) ١٠١ .
 (٥٧) نفسه : ١٠٤ - ١٠٥ .
 (٥٨) نفسه ٦٧ .
 (٥٩) نفسه : ٨٧ - ٨٨ .
 (٦٠) نفسه : ٣٧ .

فهرست المصادر

القرآن الكريم.

- (١) أشعار الخليج: الحسين بن الضحاك ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، دار الثقافة - بيروت .
 (٢) الاغاني: أبو الفرج علي بن الحسين، تحقيق يوسف البقاعي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
 (٣) الانساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني مطبعة حيدر آباد الدكن ، ط١ ، ١٩٦٦ م.
 (٤) تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الثاني) : شوقي ضيف ، دار المعارف - القاهرة، ط٢ ، ١٩٧٥ م.
 (٥) تاريخ بغداد : أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة - القاهرة ، ١٩٣١ م.
 (٦) حديث الأربعاء: طه حسين ، دار المعارف - مصر .
 (٧) حلبة الكميته: شمس الدين محمد بن الحسن النواجي، المكتبة العلميه مصر ، ١٩٣٨ م .
 (٨) الزهرة: أبو بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهاني ، نشره لويس نيكول البوهيمي ، مطبعة الأباء اليسوعيين - بيروت ، ١٩٣٢ م.
 (٩) شرح المقامات الحريرية: احمد بن عبد المؤمن الشريشي تصحيح محمد بن عبد المنعم خفاجي ، ط١ المطبعة المنيرية - القاهرة ، ١٩٥٢ م.
 (١٠) صحيح مسلم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، ط١ ١٩٥٥ م.
 (١١) طبقات الشعراء : عبد الله بن المعتز ، تحقيق احمد عبد الستار فراج ، ط٣ دار المعارف - مصر
 (١٢) طيف الخيال : الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، مصر ط ١٩٦٢ ، ١ م.
 (١٣) معجم الادباء: ياقوت الحموي، تحقيق احمد فريد الرفاعي ، مطبعة دار المأمون.
 (١٤) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان : شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان(ت: ٦٨١)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - مصر ، ١٩٤٨ م.